

أعضاء البيان

@ 285 @ مِّنْ زُفْعَةٍ لِّلْبَيْتِ الْمَوْتَى وَلِلْبَيْتِ الْعَشِيرِ { وكرر يدعو كأنه قال : يدعو يدعو من دون ا ما لا يضره ، وما لا ينفعه . ثم قال لمن ضره بكونه معبوداً : أقرب من نفعه ، بكونه شفيعاً : لبئس المولى ، ولبئس العشيرة منه . . . ولا يخفى أن جواب الزمخشري هذا غير مقنع ، لأن المعبود من دون ا ، ليس فيه نفع ألبتة ، حتى يقال فيه : إن ضره أقرب من نفعه وقد بين أبو حيان عدم اتجاه جوابه المذكور . . . ومنها : ما أجاب به أبو حيان في البحر . . .

وحاصله : أن الآية الأولى في الذين يعبدون الأصنام ، فالأصنام . لا تنفع من عبدها ، ولا تضر من كفر بها : ولذا قال فيها : ما لا يضره وما لا ينفعه : والقرينة على أن المراد بذلك الأصنام ، هي التعبير بلفظة (ما) في قوله { مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ } لأن لفظة (ما) تأتي لما لا يعقل ، والأصنام لا تعقل . .

أما الآية الأخرى فهي فيمن عبد بعض الطغاة المعبودين من دون الله ، كفرعون القائل { مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرِي } ، { لِّلَّذِينَ اتَّخَذُوا إِـلَـهًا غَيْرِي لَـجْـعَـلَـنَّـكَ مِنَ الْمَسْـجُـوْنِينَ } ، { أَزَاوَرَبُّكُمْ الْإِلَـهَ } فإن فرعون ونحوه من الطغاة المعبودين قد يغدقون نعم الدنيا على عابديهم : ولذا قال له القوم الذين كانوا سحرة { أَإِنِّ لَنَدَا لَّجُورًا } إِنْ كُنْتُمْ رَاحُونَ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنِّي لَنَكُومٌ إِذَا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } فهذا النفع الدنيوي بالنسبة إلى ما سيلاقونه ، من العذاب ، والخلود في النار كلا شيء ، فصر هذا المعبود بخلود عابده في النار ، أقرب من نفعه . بعرض قليل زائل من حطام الدنيا ، والقرينة على أن المعبود في هذه الآية الأخيرة : بعض الطغاة الذين هم من جنس العقلاء : هي التعبير بمن التي تأتي لمن يعقل في قوله { يَدْعُو لَمَن ضَرَّهُهُ أَقْرَبُ مِّنْ نَّفْعِهِ } هذا هو خلاصة جواب أبي حيان وله اتجاه ، والله تعالى أعلم . .

واعلم أن اللام في { يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ } فيها إشكال معروف . وللعلماء عن ذلك أجوبة . .

ذكر ابن جرير الطبري رحمه الله منها ثلاثة :

أحدها : أن اللام متزحقة عن محلها الأصلي ، وأن ذلك من أساليب اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، والأصل : يدعو من لضره أقرب من نفعه ، وعلى هذا فمن الموصولة